هل انتهى الاستشراق حقاً؟

د. مازن بن صلاح مطبقاني

* أستاذ مساعد - بقسم الاستشراق - كلية الدعوة - المدينة المنورة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الملخص:

يعتقد بعض الباحثين أن الاستشراق قد استنفذ أغراضه، وانتهى أثره. والواقع خلاف ذلك.

ذلك أن من له اطلاع على أقسام الدراسات العربية، وأقسام الدراسات في الشرق الأدنى والأوسط، ومراكز البحوث والمعاهد المتخصصة يدرك أن الاشتراق مستمر ومتواصل، وأن القوم لم تنقطع صلتهم بالحركة الاستشراقية.

وربما يكون قد تغير الاسم، ودخل في هذه الدراسات باحثون لا يتصفون بالصفات والمؤهلات التي كانت للمستشرقين السابقين، غير أن العمل في بحث قضايا المسلمين مازال مستمراً وإن تغيرت الأساليب والوسائل.

ذلك أن كلمة الاستشراق – بسبب ما صاحبها – قد أصبحت ملوثة ينفر منها الناس بسبب طمسهم وتشويهم لحقائق الإسلام وأهله. ومن هنا عمد الغربيون إلى تغيير المسميات، مع الاستمرار في أداء مهمة المستشرقين، بل وزادوا عليهم، وهذا ما جعل الاستشراق موجوداً ومتحلياً بشخصية أيديولوجية واجتماعية وسياسية.

ومن الباحثين من يرى أن الاستشراق – في العصر الحاضر – ينقسم إلى تيارات عديدة، منها: ما يطالب باستمرار الاستشراق في اهتماماته القديمة، وحجتهم أن الاهتمام بالقضايا السياسية المعاصرة يتطلب اتخاذ موقف منها وهو أمر يتركه المستشرقون لرجال السياسة، بينما يطالب الشباب أن يهتم الاستشراق المعاصر ببحث العلاقات الإسلامية المسيحية المعاصرة، وهذا ما حدث في مؤتمر المستشرقين الألمان الذي عقد في مدينة (توبنجن صيف عام ١٩٨٢م) وأبرز معاقل الاستشراق الحديث والتي يدل نشاطها على استمراره ما يلي.

١ – جامعة برتستون: فقد أسس المؤرخ اللبناني فيليب حتى برنامج دراسات الشرق الأوسط في الجامعة عام ١٩٢٧ مع صديقه (بابارد دوج) ولا يزال نشاطها على أشده بإصدار الكتب وإقامة الندوات.

٢ - معهد الشرق الأوسط: تأسس عام ١٩٤٦ للماسعدة في ملء الفراغ لدى الأمريكيين، وكان هدفه الأساس إصدار مجلة الشرق الأوسط، وعقد مؤتمر سنوي في واشنطن، بالإضافة إلى المؤتمرات والندوات الأخرى في مناطق مختلفة.

٣ - معهد بروكنجز، ومعهد الولايات المتحدة، وجامعة جورجتاون، وجامعة انديانا بلومنجتون وغير ذلك من المؤسسات، وكلها ماتزال تؤدي دور الاستشراق على أكمل وجه.

وغير ذلك كثير، مثل: جمعية دراسات الخليج: تأسست عام ١٩٩٠ في أمريكا، ورابطة الشرق الأوسط تأسست عام ١٩٩٠، ومؤسسة راند، ومعهد البحوث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي باكس إن بروفانس. وهو من أنشط وأهم مراكز البحث العلمي حول العالم العربي في فرنسا. ومركز دراسات الشرق الأدنى والأوسط انشئ عام ١٩٦٦ وكل هذه الجامعات والمعاهد والمدارس ماتزال تقوم بمهام المستشرقين. بل وطورت من وسائلها مستفيدة من التقنية الحديثة.

مقدمة

دعاني إلى اختيار هذا الموضوع مقالة قرأتها لكاتب لبناني متخصص في الفلسفة في جريدة عكاظ زعم فيها أن الاستشراق أضعف فروع المعرفة في الغرب، وهو في طريقه إلى الانقراض(١). كما أن أستاذي الدكتور أكرم ضياء العمري كان قد ألقى محاضرة في الموسم الثقافي للجامعة الإسلامية عام ١٤٠٧ بعنوان (الاستشراق هل استنفد أغراضه؟) ثمّ نشرها في كتيب صغير بعنوان (موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية(٢)، وقد خلص الدكتور العمري إلى أن الاستشراق لم يستنفد أغراضه بعد، فما زال قائماً، وما زالت مئات الدوريات تصدر عنه، وما زالت المطابع تدفع إلى الأسواق مئات أو ألوف الكتب كل عام من تأليف الباحثين الغربيين. وطالب في ختام محاضرته أو كتابه أن يتقدم المسلمون أولاً لتمثيل أنفسهم أمام أنفسهم، ثم يمثلوا أنفسهم أمام العالم.

ولكن قضية نهاية الاستشراق تعود إلى فترة أقدم من محاضرة العمري أو مقالة علي حرب، فقد عقد المستشرقون آخر مؤتمر لهم تحت رعاية المنظمة الدولية للمستشرقين في مدينة باريس بفرنسا عام ١٩٧٣ وكان هذا المؤتمر الاستشراقي في مناسبة مرور مائة عام على بداية عقد المستشرقين لمؤتمراتهم العالمية كل ثلاث إلى خمس سنوات. وفي هذا المؤتمر دار نقاش وتصويت بين المستشرقين على تغيير الاسم وتسمية الجمعية باسم جديد هو «المؤتمر العالمي للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا». وقد عقد المؤتمر الأخير في مدينة بودابست بالمجر، وحضره أكثر من ألف باحث

---

(١) علي حرب: «الأنا والآخر بين الاستشراق والاستغراب. في **عكاظ**. ع (١١٦٠٣)، ٤ صفر ١٤١٩ الموافق ٢٩ مايو ١٩٩٨.

(٢) أكرم ضياء العمري: **موقف الاستشراق من السيرة والسنّة النبوية**. (الرياض: مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، ١٤١٧/١٩٩٨. وكان هذا الكتاب قد نشر في ملحق التراث بجريدة المدينة المنورة بعد إلقاء المحاضرة بعدة أشهر من إعداد كاتب هذه السطور حيث استنسختها من الشريط.

معظمهم من أوروبا وأمريكا وروسيا في شهر ربيع الأول ١٤١٨ - ٧-١٢ يوليه ١٩٩٨) وسيعقد المؤتمر القادم في مونتريال بكندا عام ٢٠٠١.

وقد يقول بنهاية الاستشراق من ليس له اطلاع على أقسام الدراسات العربية، وأقسام دراسات الشرق الأدنى والشرق الأوسط، أو مراكز البحوث والمعاهد المتخصصة، أو معاهد البحوث الاستراتيجية، أو معاهد البحوث حول الشؤون الدولية. أما من له اطلاع - ولو حتى اطلاع قليل - حول هذه المراكز والأقسام فيدرك أن الاستشراق مستمر ومتواصل، وأن القوم لم تنقطع صلتهم بالحركة الاستشراقية، بل هناك من الدلائل على أنهم ينطلقون في دراساتهم للعالم الإسلامي عقيدة وشريعة وأخلاقاً واجتماعاً وغير ذلك من المجالات مستندين إلى الجهود الاستشراقية لجولدزيهر وشاخت وبيكر ونولدكه وتوماس آرنولد وغيرهم.

وقد يكون الاسم قد تغير، ودخل إلى مجال الدراسات الشرق أوسطية باحثون لا يتصفون بالصفات أو المؤهلات التي كانت للمستشرقين، ولكن العمل في البحث - في كل قضايا المسلمين - ما زال قائماً، وإن تغيرت بعض مناهج الدراسات أو أساليبها أو طريقة عرضها. كما أن الدراسات العربية الإسلامية تستعين حالياً بعدد كبير من الباحثين المسلمين والعرب الذين يجدون كل التأييد والدعم والمساندة من المراكز الاستشراقية أو مراكز دراسات الشرق الأوسط.

هذا وينقسم البحث إلى ثلاثة محاور هي:

الأول: نهاية الاستشراق كما يراها الغربيون في كتاباتهم،

الثاني: نهاية الاستشراق في الكتابات العربية.

الثالث: استمرار الاستشراق من خلال رصد نشاطاته.

المحور الأول
نهاية الاستشراق كما يراها الغربيون

بعد أن أصدر إدوارد سعيد كتابه الاستشراق بأربعة أعوام كتب برنارد لويس مقالة طويلة بعنوان (مسألة الاستشراق) يتناول فيها ما توصل إليه المستشرقون في مؤتمرهم العالمي في باريس عام ١٩٧٣، فكان مما قاله: «لقد أصبحت كلمة «مستشرق» منذ الآن فصاعداً ملوثة هي الأخرى أيضاً، وليس هناك أمل في الخلاص. ولكن الضرر هنا أقل؛ لأن الكلمة كانت قد فقدت قيمتها وحتى أولئك الذين تدل عليهم تخلوا عنها... وكانت مناسبة جيدة لإعادة التكظر في طبيعة المؤتمر ووظائفهُ، ثم سرعان ما تبين لهم أنهم متفقون جميعاً على ضرورة التخلي عن هذه التسمية (تسمية الاستشراق)[(١)].

ولنا أن نتساءل ما الأسباب التي أدت إلى أن تصبح كلمة «مستشرق» ملوثة؟ هل أتى هذا التلوث من فراغ أو كان للمستشرقين يد في إحداث هذا التلوث بما ارتكبوه من أخطاء جسيمة في دراساتهم للإسلام ولتاريخ الأمة الإسلامية؟ فلو توقفنا عند الاستشراق في القرون الوسطى الأوروبية نجد أن الأوروبيين أنفسهم قد اكتشفوا ضخامة الأحقاد التي حملتها تلك الكتابات التي كانت مدفوعة بمحاربة الإسلام وتشويه صورته في أذهان الغربيين، حتى لا يقبلوا على الإسلام، أو حتى يستخدمها المنصِّرون الذين بدأوا ينطلقون إلى أنحاء العالم لنشر ديانتهم، أو السيطرة على الشعوب الأخرى التي كانوا – وما زالوا – يرونها أقل منهم حضارة ومدنية.

وقد ظهرت كتابات غربية كثيرة تنتقد الاستشراق القديم، ومنها على سبيل

---

(١) برنارد لويس. «مسألة الاستشراق» في **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه**. إعداد هاشم صالح (لندن: دار الساقي، ١٩٩٤) ص ١٥٩ – ١٨٢، وقد نشرت المقالة أصلاً في New York Review of Books، وقد ناقشت هذه المقالة في كتابي (الاستشراق والاتجاهات الفكري في التاريخ الإسلامي (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦).

المثال ما كتبه ريتشارد سوذرن في كتابه (صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى) وكتاب نورمان دانيان (الإسلام والغرب) وفي بعض كتابات مونتجمري وات وغيره من الباحثين الأوروبيين.

ولكن هل توقفت الصورة السلبية للإسلام في الكتابات المعاصرة؟ فهذا لويس الذي يؤكد نهاية الاستشراق كتب مدة تزيد عن نصف قرن حول الإسلام والمسلمين، اهتم في كثير من كتاباته الأولى بالفرق الإسلامية من أمثال الشيعة والحشاشين والإسماعيلية وغيرهم. وأما كتاباته المعاصرة فقد اهتم فيها بالديموقراطية والإسلام والتعددية والحركات الإسلامية «الأصولية»، مستفيداً من خبرته في التاريخ الإسلامي، ليطعن في الإسلام والمسلمين. ومن العجيب أن يتوقف لويس عند أحد قادة الإسماعيلية، ليضفي عليه صفات البطولة والعظمة والقيادة، وليضفي على الإسماعيلية وغيرها من الحركات المحاربة للإسلام الأهمية الفكرية والفلسفية.

والأسباب التي أدت إلى تلوث مسمى استشراق كثيرة، ومن ذلك: ارتباط بعض المستشرقين بالدوائر السياسية والمخابراتية لبلادهم، حيث قدموا خدمة الأغراض السياسية على الإخلاص للبحث العلمي. كما أن بعضهم كان مدفوعاً بأحقاد الماضي التي لم يستطع التخلص منها(*).

وهل انتهى التلوث لهذا الاسم بعد أن لم يعد في معظم الجامعات الأوروبية والأمريكية أقساماً يطلق عليها اسم (الاستشراق)؟ فالذي يبحث في إنتاج هذه الأقسام أو الأساتذة الذين يعملون فيها أو الاهتمام الذي يولونه لبعض العرب والمسلمين المتأثرين بالفكر الغربي في النظرة إلى الإسلام والمسلمين أو الذين ترفضهم المجتمعات الإسلامية فيجدون الملاذ الآمن في

(*) من المستشرقين الذين ارتبطوا بالدوائر الاستعمارية صراحة: المستشرق الهولندي سنوك هورخرونيه، ولكن كبار المسؤولين الهولنديين في جامعة ليدن بهولندا أصروا على الإشادة به في افتتاح المؤتمر العالمي الأول حول الإسلام والقرن الواحد والعشرين الذي عقد في ليدن في يونيو ١٩٩٦.

المجتمعات الغربية يعرف أن التلوث ما زال قائماً، حتى في الأقسام الجدية فقد تغير الاسم وبقي المسمى.

ويرى باحث آخر أنه ليس هناك استشراق، ولكن هناك «علم صينيات أو علم إيرانيات الخ. هناك فقط تخصصات علمية محددة من قبل موضوعها وإشكاليتها الخاصة، كعلم الاجتماع، وعلم السكان، وعلم الاقتصاد السياسي، وعلم الألسنيات... ويمكن تطبيق مناهج هذه العلوم على الشعوب والمناطق المختلفة في فترات مختلفة، عن طريق الأخذ بعين الاعتبار خصوصيات هذه الشعوب أو المناطقُ ولتلك الفترات»(١).

ويمكننا القول: إن ظهور هذه الأسماء الجديدة أو الأقسام والتخصصات والتفرعات الجديدة لا يعني نهاية الاستشراق، وإنما ذلك تطور طبيعي لمجال معرفي كان محصوراً في عدد محددمن المتخصصين في الشرق، وبخاصة العالم العربي الإسلامي. ولما أصبحت العلوم المختلفة ذات كيانات مستقلة كعلم الاجتماع وعلم الإنسان والعلوم الأخرى وأصبح لها معطيات ومناهج جديدة فلا بد أن يستفاد منها في دراسة الشعوب الأخرى؛ للتمكن من المعرفة الدقيقة لهذه الشعوب.

ويرى رودنسون أنه بالرغم من ذلك فإن كثيراً من المستشرقين ما زالوا مصرين على وجود هذا المجال، وأنهم كما يقول «سجناء الاستشراق: منغلقون على أنفسهم داخل غيتو، وهم سعداء في ذلك غالباً! بل إن مفهوم الاستشراق نفسه ناتج عن ضرورات عملية عابرة التقى عندها العلماء الأوروبيون المتمرسون بدراسة الثقافات الأخرى، وشوّهت هذه الحالة بقوة رؤيتهم للأشياء(٢)».

وكان من الملاحظ في المؤتمر الأخير الذي عقد تحت مسمى المؤتمر

---

(١) مكسيم رودنسون – «الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا». في **الاستشراق بين دعاته**، مرجع سابق ص ٣٤ – ٨٣.

(٢) المرجع نفسه.

العالمي للدراسات الآسيوية وشمال أفريقية في بودابست بالمجر (ربيع الأول ١٤١٨) التمسك بكلمة استشراق، حيث ردد هذه الكلمة كثير من الباحثين الغربيين والعرب المسلمين في المؤتمر، ولم تكن لتثير أي اعتراضات، سوى ما كان من النقاشات الجانبية مع بعض الباحثين الأمريكيين أو الأوروبيين الغربيين مؤكدين أنه لم يعد هناك استشراق، ولكن، دراسات إقليمية، ودراسات مناطق، ودراسات اجتماعية، وأنثروبولوجية، وسياسية، وغيرها، حول الشعوب المختلفة.

وليس الأمر صحيحاً في أن مفهوم الاستشراق نفسه ناتج عن ضرورات عملية، وأن هذه الحالة شوهت بقوة رؤيتهم للأشياء، فما زال الباحثون الغربيون ينهلون من الكتابات الاستشراقية، وما زالت بعض كتاباتهم تحتوي على التشوهات نفسها التي ظهرت حتى في كتاباتهم في القرون الوسطى الأوروبية. وقد أصبحت كتابات المستشرقين مصادر لكثير من الإعلاميين، فانتقلت التشوهات والأخطاء والمفتريات الاستشراقية من المجال الأكاديمي إلى المجال الإعلامي، فازدادت انتشاراً، وذلك لسيطرة وسائل الإعلام في مجال نشر الفكر والثقافة في العصر الحاضر. ويؤخذ على الإعلاميين أنهم يأخذون أبحاث المستشرقين الغربيين على أنها مسلمات ثابتة، وليست أفكاراً قابلة للخطأ والصواب، وقابلة للتحيز والإنصاف.

أما المستشرق الإسباني فرانسيسكو غابرييلي: فيرى أن الاستشراق الذي كان يعد في البداية علماً واحداً متكاملاً «سرعان ما انقسم إلى فروع وتخصصات مستقلة بعضها عن بعض، ومتعلقة بمختلف الحضارات الخاصة بالشرق الأفريقي – الآسيوي». وأشار إلى الجمعيات الاستشراقية التي ما تزال قائمة، مثل (الجمعية الاستشراقية الألمانية، والجمعية الآسيوية الملكية الإنجليزية، والجمعية الآسيوية الفرنسية) وكذلك المؤتمرات الاستشراقية «قد أخذت تميل إلى عقد مؤتمرات أكثر تخصصاً بشؤون العالم العربي والإسلامي والهندي والصيني وغير ذلك من مجالات البحث والتخصص»[١].

---

(١) فرانسيسكو غابرييلي. «ثناء على الاستشراق» في المرجع السابق. ص ٢١–٣٠ ونشر الأصل بالفرنسية بعنوان Apologie de l'Orientalisme. In *Diogene* No. (50) 1965.

ويرى غابرييلي أن الاستشراق «الذي كان في طريقه إلى الضياع أو بالأحرى إلى الانحلال والذوبان في تخصصات فرعية دقيقة أكثر فأكثر، وذلك من وجهة نظر علمية بحتة، أصبح الآن موحداً من جديد ومتحلياً بشخصية أيديولوجية وسوسيولوجية وسياسية. ولكن هذه الصورة المقدمة عنه غير مقبولة من وجهة نظرنا، وذلك لأنه من خلال هذه الصورة بالذات وضع في قفص الاتهام، وراحوا يحاكمونه على أصوله ومقاصده ومناهجه ونتائجه»(١).

ويمكن أن نلقي سؤالاً هنا لماذا أصبح الاستشراق الآن «موحداً ومتحلياً بشخصية أيديولوجية واجتماعية وسياسية؟ هل السبب أن العالم العربي الإسلامي أدرك أن هذه الدراسات التي تصدر عن الجامعات الغربية ومراكز البحوث فيها ما زالت تؤدي الدور الذي كان يقوم به الاستشراق وزيادة ولذلك كان لا بد من مواجهتها؟ وقد انطلق المسلمون في هذه الواجهة من التخصصات العلمية التي انقسم إليها الاستشراق نفسه. فهناك كتابات تصدر في العالم الإسلامي عن متخصصين في علم الاجتماع، وأخرى عن متخصصين في العلوم الشرعية، وأخرى في اللغة والآداب، وغير ذلك من المتخصصات التي يكتب فيها المتخصصون الغربيون. وأما مسألة توحيد الاستشراق أو التخصصات فهو أمر ضروري؛ لأن الدراسات الغربية تصدر عن مراكز موحدة في الغرب وإن تنوعت فروعها واختصاصاتها.

ويؤكد غابرييلي على أن الاستشراق الذي درس الشعوب الأخرى بمناهجه ومفاهيمه الخاصة لا يمكنه التراجع عن ذلك بل يرى أن ذلك حقاً له: «فالواقع أنه يحق للغرب أن يطبق على الشرق مفاهيمه ومناهجه وأدواته الخاصة التي كان قد بلورها في تاريخه الحديث، كما يحق له أن يطبق معاييره الخاصة على ما ندعوه بالتاريخ والحضارة والثقافة والفلسفة والشعر. بمعنى آخر فإنه إذا كان البعض يحلمون بإمكانية جعل الفكر الغربي يتراجع عن نتائج دراساته التاريخية الطويلة للبشرية وتفسيرها فإنهم واهمون»(٢).

---

(١) المرجع نفسه.
(٢) المرجع نفسه.

يمكن للغرب أن يعتز بمفاهيمه ومناهجه ولكن أن يفرضها على الأمم الأخرى حين يقوم بتناول تاريخ الأمم الأخرى وعقائدها وشرائعها، فهو أمر لا يقول به المنهج العلمي الصحيح. فلكل أمة مسلمات وثوابت لا يمكن العبث فيها مهما كانت خلفية الكاتب. فمن المسلمات عند المسلمين مثلاً: قضية النبوة والوحي، وجهود علماء الأمة الإسلامية في تدوين الحديث ودراسة أسانيده ومتونه. ولكن بعض الغربيين يصرون في الحديث عن النبوة أن لا يعترفوا بالوحي، ولا يعترفوا بما قام به المسلمون للحفاظ على سنة الرسول ﷺ.

ومن المسلمات التي اختار الغرب أن لا يقبلها: أن الشريعة الإسلامية نظمت حياة المسلمين في جميع شؤونهم - مهما ابتعدوا عنها -، وأن تقدم المسلمين الحقيقي لا يكون بغير التمسك بهذه الشريعة في جميع أمور الحياة من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وأخلاقية وغير ذلك. وأن الإسلام لا يمنع المسلمين من الأخذ مما عند الأمم الأخرى من تطور ومدنية وحضارة ما دامت لا تتعارض مع ثوابت شريعتهم.

ومن الذين تناولوا نهاية الاستشراق: المستشرق الفرنسي كلود كاهين في رده على مقالة أنور عبدالملك (أزمة الاستشراق)، حيث بدأ بالحديث عن إنجازات الاستشراق وفضله على الباحثين العرب المسلمين، فقال: «ولكن ينبغي أن يعرفوا - أيضاً - أن الاستشراق الأوروبي هو الذي أخذ المبادرة في العصور الحديثة لدراسة تاريخهم الخاص، وأنه لولاه لكانوا عاجزين عن أن يقولوا عن ماضيهم نصف ما يستطيعون قوله اليوم بطريقتهم الخاصة، فنحن لا نزال نمتلك - حتى الآن - الميزة المتفوقة التالية: إننا قادرون على الاهتمام بتاريخ كل شعوب العالم، وليس بتاريخنا الخاص»(١).

إن هذا المن من الاستشراق لا يصمد للبحث العلمي الصحيح وإن كان بعض أساتذة الجامعات العربية والإسلامية درسوا في الغرب وتمسكوا بآراء وبحوث أساتذتهم وأصر البعض منهم على أن البحث العلمي في التاريخ الحديث

---

(١) كلود كاهن. «كلود كاهن يرد على أنور عبدالملك: رسالة إلى رئيس تحرير مجلة «ديوجين». في **الاستشراق بين دعاته**، مرجع سابق ص ٣٥-٣٨.

للعالم العربي الإسلامي لا يتم إلا بالرجوع لكتابات المستشرقين فأمر لا يقره عليه غالبية الباحثين في العالم الإسلامي(*)، ويمكننا أن نضيف إن الجهود العربية والإسلامية في دراسة التاريخ الإسلامي قد أثرت المكتبة العربية الإسلامية في السنوات الماضية، فهذه الرسائل العلمية لكثيرة في تحقيق التراث وفي دراسة قضايا مختلفة من التاريخ الإسلامي تؤكد على عدم صحة ما ذكره المستشرق، ومع ذلك فلا بأس من معرفة ما تقوله الكتابات الغربية أو الاستشراقية حول تاريخنا الحديث، أو أوضاعنا المعاصرة، لنفهم كيف ينظر إلينا الآخرون.

ويرى كاهن أن التقدم العلمي الغربي الحاضر يفرض على الشعوب الأخرى – حين تريد دراسة الحضارات الأخرى – أن تأخذ بالنموذج الغربي وذلك في قوله: «وفي يومنا هذا نلاحظ أن خط التقدم العلمي والنضج الثقافي اللازم لدراسة هذه الحضارات [الشرقية أو الغربية] لا يزال يمر من خلال الاستشراق الغربي: أي من خلال الفكر التاريخي والفيلولوجي والاجتماعي الأوروبي»(١) ويضيف كاهن قائلاً: «ونلاحظ أن بعض الشرقيين الأنكياء والجريئين قد أخذوا يسلكون هذا الطريق، واستطاعوا في بعض الحالات أن يصلوا إلى مستوى زملائهم الغربيين أنفسهم من حيث السيطرة على المنهجية العلمية».

هذه هي نظرة الاستعلاء الغربية فالعلماء العرب لم ينكروا تقدم الغرب ومدنيتهم ولكن أن يسعى العالم لأن يلحق بالغرب فقط وينتظر من علمائه شهادة التفوق والذكاء فهذا أمر لا تقبل به أي حضارة مهما كانت متخلفة فكيف بالحضارة الإسلامية؟ وحتى إن كانت البلاد الإسلامية تعاني من التخلف في المجالات العلمية والتقنية، فإننا لا ننتظر الشهادة من الباحثين الغربيين. ويمكن أن نلاحظ أن الباحثين العرب الذين وصلوا إلى المستوى الذي يرضى عنه كاهن إنما

(*) «أصرّ الدكتور حسن صبحي الذي كان يحاضر في برنامج الماجستير في التاريخ في جامعة الملك عبدالعزيز (١٣٩٩ – ١٤٠٦) على أن أي بحث في التاريخ العربي الحديث يجب أن يرجع إلى كتابات المستشرقين. ولذلك حين قدمت له بحثاً ليس فيه مراجع أجنبية أصر على أن أضيف بعض المراجع الأنجليزية.

(١) المرجع نفسه.

هم طه حسين وهشام جعيط، ومحمد عابد الجابري، وأنور عبدالملك، وعزيز العظمة، وأمثالهم، ممن تأثروا بالفكر الغربي والمناهج الغربية(*).

أما بالنسبة لمشاركة المسلمين في دراسة قضاياهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فإن معهد الدراسات الإسلامية في مونتريال بكندا قد بدأ منذ أكثر من خمسين سنة يشجع الطلاب العرب والمسلمين على دراسة أوضاع بلادهم تحت إشراف أساتذتهم من المستشرقين. وقد كان المبرر الذي ذكره تقرير هايتر لذلك أن الطالب العربي المسلم يكون بعيداً عن بلاده ومشكلاتها ويستطيع بالتالي أن يبحث بحرية وتجرد أكثر مما لو كان في بلاده. وقد أعجبت هذه الفكرة معدو تقرير هايتر فقرروا نقل الفكرة إلى الجامعات البريطانية[١]. ولكن لا بد أن نذكر أن هناك مبررات أخرى وهي أن الباحث العربي المسلم أقدر على جمع مادته العلمية من بلاده، وقد يكون في ذلك أحياناً توفير للنفقات المالية التي يمكن أن يتكلفها الباحث الغربي لو كان محتاجاً لجمع هذه المادة. وذكر أحمد غراب أن بعض البحوث التي يوجه الطلاب العرب للقيام بها ذات طبيعة استخباراتية، وذكر من ذلك أنه طلب من أكثر من باحث مسلم أن يبحث في قضايا الحركات الإسلامية في بلاده، وإذا ما رفض الطالب فإنه قد لا يسمح له بتسجيل موضوع آخر[٢].

ويرى برايان تيرنر Bryan S. Turner أن الاستشراق قد أظهر العديد من أعراض الأزمات الداخلية والانهيار منذ الحرب العالمية الثانية، ولكن البديل لم

(*) تحدث أحد المستشرقين الكنديين في المؤتمر العالمي الأول حول الإسلام في القرن الواحد والعشرين الذي عقد في ليدن في الفترة من ٣-٧ يونيو ١٩٩٦ عن تجربته مع الباحثين الإندونيسيين بحكم تخصصه في الإسلام الإندونيسي، وأثنى على تطورهم. فتعجبت من هذا الأسلوب الأبوي، فيكف يضع المستشرق نفسه في موضع الحكم على الباحثين المسلمين، وكأنه يشير إلى أن احتكاكهم بالغرب هو الذي أفادهم وجعلهم يتطورون.

(١) Sir William Hater. *Report of The Sub-Committee on Oriental, Slavonic, East European and African Studies. London, 1961*.

(٢) أحمد عبدالحميد غراب. **رؤية إسلامية للاستشراق. ط٢** (بيرمنجهام: المنتدى الإسلامي، ١٤١١) ص ١٤٥.

يكن من السهل إيجاده وذلك لأن الاستشراق ما زال يحتفظ بدعم فكري ومؤسساتي، فالاستشراق يملك مقومات ذاتية تدعم وجوده. وقد جرت عدة محاولات لإعادة بناء هذا المجال العلمي ومن أمثلة ذلك: ما قامت به مجلة دراسات الشرق الأوسط Review of Middle East Studies ومشروع بحوث ومعلومات الشرق الأوسطج Middle East Research and Information Project. (MERIP) [١].

المحور الثاني
نهاية الاستشراق في نظر الباحثين العرب والمسلمين

تناول بعض الباحثين العرب والمسلمين مسألة نهاية الاستشراق إما تأثراً بمن كتب من المستشرقين أو الباحثين الغربيين حول هذا الموضوع، أو بحثوا فيه بحثاً أصيلاً، مثل الدكتور أكرم ضياء العمري الذي تناول هذا الموضوع كما أشرنا في البداية إلى أن الاستشراق لم يستنفد أغراضه، وإن قام بتغيير بعض أساليبه، وطالب في نهاية محاضرته إلى أن على المسلمين أن يمثلوا أنفسهم أمام أنفسهم أولاً، ثم ينتقلوا إلى تمثيل أنفسهم أمام الآخرين، وذلك في قوله: «أن نمثل أنفسنا بأن تقوم مؤسساتنا العلمية برسم الصورة الثقافية، والتاريخية، والعقدية لأمة الإسلام، دون أن تخضع للأفكار المسبقة التي رسمها المستشرقون، فهذا جانب مهم وأولي، وهو أحرى بالاهتمام، لأن فيه تحصيناً للأمة. والثاني: يتحقق إذا بلغنا المستوى المناسب من تهيئة أصحاب الخبرات فنقوم عندئذ بتمثيل أنفسنا أمام الآخرين»[٢].

وكتب عبدالأمير الأعسم أن الاستشراق في انحسار من الناحية العلمية

---

(١) Bryan S. Turner. "Islam" and Orientalism". In *Orientalism, Islam and Islamists*. ed. Asaf Hussain et at. (Brattleboro: Vermont: !984.) p.p. 23-43.

(٢) العمري، مرجع سابق، ص٤٧.

وأنه يتجه إلى السياسة البحتة بأن أصبحت [هذه الدراسات]» أداة طيعة الآن بأيدي دوائر الإمبريالية، فهذا برنارد لويس أستاذ العربية في جامعة لندن سابقاً يقدم خبراته للمخابرات الأمريكية على نحو مفضوح»[١]. ويضيف الأعسم أن انحسار الدراسات العربية في الجامعات «الرصينة» لأسباب مالية في تموين إيرادات الكرسي المخصص للغة العربية كما حدث في «هارفارد»، وما سيحدث في بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا[٢].

لم يذكر الأعسم مصدره في أن كراسي اللغة العربية واجهت صعوبات مالية بينما الصحيح أن هذه الصعوبات ربما تكون مؤقتة لفترات محددة، ذلك أن الحكومة البريطانية قد ألفت لجنة عام ١٩٧٤ برئاسة سكاربرو Scarbrough لدراسة أوضاع الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات البريطانية وقامت هذه اللجنة بتقديم تقرير بلغت صفحاته حوالي المائتين صفحة أوصت فيه برصد مبالغ كبيرة لهذه الدراسات وقد انتعشت هذه الدراسات. وقد ألفت الحكومة نفسها لجنة أخرى برئاسة سير وليام هايتر Sir William Hayter عام ١٩٦١ وقدمت تقريراً بعد أن قامت بزيارة عدد من الجامعات الأمريكية والكندية للتعرف على الدراسات العربية الإسلامية في أمريكيا الشمالية وبخاصة الدراسات الإقليمية التي نشأت في هذه البلاد، وكانت زيارتها بتمويل من مؤسسة روكوفللر الأمريكية.

---

(١) عبدالأمير الأعسم. «الاستشراق من منظور فلسفي عربي» في **الاستشراق: سلسلة كتب الثقافة المقارنة**. العدد الأول كانون الثاني ١٩٨٧م. ص ٢٩-٣٣. ويلاحظ أن عبدالأمير أخطأ حين ذكر أن لويس كان أستاذاً للعربية في جامعة لندن، بينما الصواب أن لويس كان أستاذاً للتاريخ الإسلامي، ثم رئيساً لهذا القسم حتى مغادرته بريطانيا عام ١٩٧٤م، أما مسألة خدمته للمخابرات الأمريكية: فالصحيح أن لويس بدأ بعد تخرجه بالدكتوراه عام ١٩٣٩ بأداء الخدمة العسكرية، حيث أعيرت خدماته لوزارة الخارجية البريطانية، ثم قدم خدمات للحكومة البريطانية، وفي أثناء وجوده في بريطانيا كان يتردد إلى الولايات المتحدة، فيقدم مشورته للجنة الشؤون الخارجية، وقد نشرت وثائق الكونجرس الأمريكي محاضرته في أعضاء لجنة الشؤون الخارجية بالكونجرس الأمريكي عام ١٩٧٤، كما نشرتها وزارة الخارجية الإسرائيلية بعد المحاضرة بنصف شهر تقريباً.

(٢) المرجع نفسه.

أما في الولايات المتحدة فقد صدر مرسوم حكومي عام ١٩٥٢ خصصت بموجبه مبالغ كبيرة لإنفاقها على هذه الدراسات في أكثر من عشرين جامعة أمريكية. وحتى تتأهل الجامعات لهذه المعونة كان لا بد أن تقدم برامج توافق عليها الحكومة الأمريكية، أو تكون متمشية مع المرسوم الحكومي المذكور. وما زالت الجامعات الأمريكية تتلقى الدعم من الحكومة الأمريكية، أو تكون متمشية مع المرسوم الحكومي المذكور. وما زالت الجامعات الأمريكية تتلقى الدعم من الحكومة الأمريكية بعد أكثر من أربعين سنة منذ صدور المرسوم الحكومي. ولا بد من التأكيد أن الدراسات العربية الإسلامية تتلقى دعماً سخياً من بعض البلاد العربية الإسلامية، كما تتلقى الدعم من المؤسسات الخيرية الأمريكية ومن الأفراد في الغرب. والمطلع على نشاطات هذه الأقسام يدرك أنه ليس هناك أي نقص في التمويل لهذه الدراسات[1]».

وكتب محسن جاسم الموسوي عن نهاية الاستشراق، فذكر أن مقالة أنور عبدالملك (الاستشراق في أزمة) التي نشرت عام ١٩٦٣ كانت تنبئ عمّا سوف يتبناه مؤتمر المستشرقين التاسع والعشرين الذي عقد في باريس في يوليه ١٩٧٣م «من موت الاستشراق، وحلول (العلوم الإنسانية) المعنية بالشرق بديلة». ويفهم الموسوي من هذا «الموت» أنه «يعني ضمنياً ولادة الاهتمام مجدداً، مختلفاً في تأكيداته وحقوله، مولياً ظهره لنصوص التراث، أما ما قيل بشأن الثقافة العربية الإسلامية فأصبحت بعض مقولات الدارسين الغربيين، وكأنها ثوابت لا محيص عنها، تأتي البحوث التالية منطلقة منها لا خارجة عليها... كما يعني هذا الموت تزايد الاهتمام بكل آسيا وأفريقيا، وبضمنها ما سمي بإلحاح بالشرق الأوسط أو الأدنى»[2].

(*) إن الذكاء والمكر الأوروبي والأمريكي استطاع أن يجد الدعم السخي والقوي لهذه المراكز والأقسام العلمية بالأموال اللازمة من عربية وإسلامية وأوروبية وأمريكية. ومن تتاح له فرصة زيارة هذه الأقسام والمراكز يتعجب من مظاهر الترف والبذخ الذي تعيش فيه، ويأسى على الجامعات في العالم الإسلامي وما تعانيه من مشكلات.

(١) محسن جاسم الموسوي. «مداخل المثقفين العرب للاستشراق: نقطة تحول». في **الاستشراق**، المرجع السابق، ص ٣-٧. وقد أعاد الموسوي هذه الأفكار بتوسع في كتابه **الاستشراق في الفكر العربي**. (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٩٣).

ويؤكد الموسوي أن موت الاستشراق لم يعن أبداً نهاية آراء المستشرقين ونتائج دراساتهم وأبحاثهم، بل عادت هذه الآراء والأفكار للظهور في كتابة المختصين والمستشارين الغربيين، وذكر من أمثال هؤلاء: رفائييل باتاي في كتابه (العقل العربي) حيث يقول عنه: «وبتاي يمكن أن يكون نموذجاً للدارس ذي المهمة الاستشارية في تكوين السياسة إزاء المنطقة، فهو تتلمذ على أساتذة مستشرقين أمثال بروكلمان وشغف في بداية تكوينه بغولدزيهر، وعاش في الأرض المحتلة»، وذكر عن أنتوني ناتنج Anthony Nutting بأنه «عندما يتخلى عن التحليل أو السرد التاريخي يجد نفسه مستعيناً بثوابت السلف الاستشراقي العامة والخاصة»[١].

وهذا أمر تؤكده المناهج الدراسية التي يقررها المختصون في الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الغربية. ففي جامعة برنستون على سبيل المثال أعيدت ترجمة كتاب إجناس جولدزيهر (دراسات إسلامية)، وقدم له وكتب حواشيه برنارد لويس. كما إن كتاب توماس أرنولد (الدعوة إلى الإسلام) رغم أنه طبعته المتوفرة قد مرّ عليها أكثر من سبعين سنة ما تزال متداولة في جامعة جورجتاون كأحد الكتب المنهجية التي على الطلاب أن يدرسوها. وقد أعادت دار برل للنشر نشر الموسوعة الإسلامية في طبعتها الأولى مصورة. والأمثلة كثيرة على أن تراث المستشرقين وآراءهم مستمرة في الهيمنة على الدراسات العربية الإسلامية في العصر الحاضر. وقد أثيرت ضجة في مصر وفي العالم العربي قبل أشهر بسبب قيام أحد أساتذة الجامعة الأمريكية في القاهرة بتدريس كتاب مكسيم رودنسون (محمد) [صلى الله عليه وسلم] وكأن هذا الكتاب هو العيب الوحيد في مناهج الجامعة أو في فكر أساتذتها.

ومن الباحثين العرب الذين كتبوا عن نهاية الاستشراق: سالم حميش حيث كتب يقول: «يمكن القول: بأن الاستشراق يظهر كتركة للماضي القريب أكثر من

(١) المرجع نفسه.

كونه مشروعاً حياً يأخذ على عاتقه هذه التركة ويطورها، أو بعبارات أخر، إن الاستشراق، مع أعلام القرن التاسع عشر والعقود الستة أو السبعة الأولى لهذا القرن، قد أعطى أحسن ما عنده بحيث لا يمكن لخلفه - حالياً أو في المستقبل المنظور - أن تكون له نفس القوة أو نفس الفعالية والإشعاع[١]».

وهذا الكلام من التعميمات الجزافية، فالدراسات العربية الإسلامية أو دراسات الأقاليم أو المناطق بالإضافة إلى الأقسام العلمية الأخرى التي تهتم بالعالم العربي الإسلامي قوية ومزدهرة في الجامعات الغربية، حتى إنها بلغت ثمانية عشر قسماً في إحدى كبريات الجامعات الأمريكية (بيركلي)، وهي تقوم بأعمال مهمة تؤكد الدور القوي والمتنامي لهذه الأقسام. ويشهد على ذلك أيضاً أن الحكومة الأمريكية تدعم هذه الدراسات من خلال الاستشارات التي يقدمها المتخصصون في الدراسات العربية الإسلامية للحكومة الأمريكية، حتى إن الاستخبارات الأمريكية قررت عقد ندوة مفتوحة لدراسة الحركات الأصولية شهرياً، يشارك فيها عدد من المتخصصين في دراسات الحركات الإسلامية «الأصولية». هذا بالإضافة إلى المؤسسات الخيرية الأمريكية والأفراد الذين يقومون بالإنفاق على البحث العلمي بسخاء كبير.

ومن الباحثين العرب المسلمين المهتمين بشأن الاستشراق: محمد أركون الذي عمل في العديد من الجامعات الغربية، وحضر عشرات الندوات والمؤتمرات، وله نشاط بارز، ولكنه ينتقد الاستشراق في وضعه الحالي بأنه يفصل بين دراسة الإسلام وقضاياه عن قضايا المجتمعات الغربية. ويقول في ذلك: «ومع ذلك فإن التقدم الحقيقي والمُنْتظر لا يحصل، لأن أقسام الاستشراق في الجامعات الأوروبية والأمريكية مفصولة تماماً عن بقية الأقسام التي تدرس المجتمعات الأوروبية والحضارية الأوروبية ذاتها. يحصل ذلك كما لو أنه لا يجوز «تلويث» هذه الأقسام الحضارية بدراسة الثقافات والأديان الأخرى غير

(١) سالم حميش. **الاستشراق في أفق انسداده**. (الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، ١٩٩١) ص١١٧.

«الحضارية» وغير الأوروبية (خصوصاً الثقافة العربية والدين الإسلامي»[١].

يهمنا في هذا الاقتباس أن أركون ما زال يستخدم مصطلح الاستشراق رغم أنه قريب من الأوروبيين أو الغربيين عموماً ويعرف أن القوم رفضوا هذا الاسم منذ أكثر من خمسين سنة. فالأقسام العلمية في الجامعات الأوروبية والأمريكية وإن تسمت بأسماء مختلفة كقسم الدراسات الشرق أوسطية أو الشرق الأدنى أو غير ذلك ولكنها في حقيقتها أقسام للاستشراق، والذين يعملون فيها مستشرقون وإن تسموا بأسماء أخرى.

والملاحظة الثانية أن هذا الوضع قد ينطبق على بعض الجامعات الأوروبية، ولكن الجامعات الأمريكية بالرغم من وجود أقسام دراسات الشرق الأوسط أو برامج الشرق الأوسط ولكنها أخذت منذ أكثر من عشرين سنة تدرس قضايا العالم العربي الإسلامي ضمن الأقسام العلمية المختلفة، ففي جامعة برنستون على سبيل المثال يتم الاشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه بالاشتراك بين متخصص في الشرق الأوسط ومتخصصين في الاقتصاد، أو الاجتماع، أو الانثروبولوجي، أو غير ذلك من العلوم. وفي جامعة كاليفورنيا في مدينة بيركلي يتم دراسة قضايا العالم العربي والإسلامي ضمن ثمانية عشر قسماً يتم التنسيق بينها من خلال مركز دراسات الشرق الأوسط.

وفي جامعة ليدن مثلاً هناك قسم دراسة الأديان حيث يدرس فيه الأديان المختلفة، ويعقد هذا القسم الندوات والمؤتمرات حول الأديان المختلفة، وبخاصة الإسلام والنصرانية واليهودية دون تفريق، ويكثر في هذا القسم المتخصصون في اللاهوت النصراني. كما أن بعض الجامعات الأمريكية تدرس الأديان في قسم مختص بذلك، مثل جامعة إنديانا في مدينة بلومنجتون. وهذا بلا شك خروج من حصر دراسة الإسلام والمسلمين في أقسام خاصة. ومع ذلك يبقى لأقسام دراسات الشرق الأوسط أو الأدنى وجود قوي في الجامعات الغربية، وفي جامعات أخرى، يقوم هذا القسم بدور المنسق لهذه الدراسات. كما أن

---

(١) محمد أركون. **الإسلام، أوروبا والغرب**. (لندن: دار الساقي، ١٩٩٥) ص٥٠.

الدعم الحكومي هو الذي يبقي هذه الدراسات تتمتع باستقلالية بدلاً من اندماجها في الأقسام الأخرى.

وأخذ الحديث عن نهاية الاستشراق نصيباً من اهتمام الباحث المسلم آصف حسين حيث تناول هذا الموضوع قائلاً: «ومع أفول الاستعمار في الشرق الأوسط بدأ الاستشراق بالسقوط من مكانته العالية حيث إن فائدته للقوى الاستعمارية قد انخفضت. ولكن تأثيره لم ينته كلياً حيث إنه بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية على أنها القوة الإمبريالية الجديدة وبالتالي استعادت المعرفة الاستشراقية أهميتها. وقد تم إعداد جيل جديد من الباحثين لتغطية هذه الحاجة»[(١)].

ويستشهد حسين على الجهود الأمريكية في هذا المجال بالمرسوم الحكومي الأمريكي لدعم الدراسات الشرق أوسطية، وبالمؤسسات الخاصة والخبرية والهيئات العلمية الرسمية التي دعمت هذا الاتجاه، ومنها: مؤسسة راند، ومؤسسة روكفللر، والمجلس الأمريكي للجمعيات العلمية، ومجلس بحوث العلوم الاجتماعية. كما أشار إلى استعانة الجامعات الأمريكية بالعديد من المستشرقين الكبار من أمثال هاملتون جب، وجوستاف جرونبناوم، وبرنارد لويس، وغيرهم. وذكر حسين كذلك إنشاء رابطة دراسات الشرق الأوسط التي تأسست عام ١٩٦٦، وأخذت تعقد مؤتمراً سنوياً يضم عدة مئات من الباحثين من شتى أنحاء العالم (وإن كان معظمهم من الولايات المتحدة)؛ لدراسة أوضاع العالم العربي الإسلامي[(٢)].

ويرى رضوان السيد أن الاستشراق في العصر الحاضر ينقسم إلى تيارات عديدة، منها: ما يطالب بأن يستمر الاستشراق في اهتماماته القديمة، مبررين ذلك بأن الاهتمام بالقضايا السياسية المعاصرة يتطلب اتخاذ موقف

---

(١) Asaf Hussain. "The Ideology of Orientalism". In *Orientalism, Islam* Op., Cit P.p. 5-23.

(٢) المرجع نفسه.

منها، وهو أمر يتركه المستشرقون للمتخصصين في الشؤون السياسية، بينما يطالب الشبيبة أن يهتم الاستشراق المعاصر ببحث العلاقات الإسلامية المسيحية، وقضايا الشرق الإسلامي المعاصر، وكان هذا ما حدث في مؤتمر المستشرقين الألمان الذي عقد مدينة توبنجن صيف عام ١٩٨٢[(١)].

ولا بد أن نتوقف عند رأي السيد محمد الشاهد حول التيارات الجديدة في الاستشراق، حيث يقول: «لقد ظهر في الاستشراق الأوروبي بصفة عامة، والألماني بصفة خاصة تيار جيد ينزع إلى رؤية جديدة للإسلام، تتخلى إلى حد بعيد عن النظرة المذهبية أو القومية أو العرقية التي تحاول دراسة الإسلام باعتباره ظاهرة اجتماعية، أو حركة إصلاحية استهدفت تحرير الإنسان من تصورات قديمة، لا تتفق مع مكان الإنسان في هذه الطبيعة»[(٢)].

ويعلق الشاهد بأن الحكم على الإسلام بأنه مجرد حركة إصلاحية «لا يقبله أي مسلم، لأن المسلم يرى في الإسلام منهجاً جاء لإصلاح البشرية في كل مكان وزمان... إلا أن مجرد ظهور هذا الاتجاه في بلاد كانت إلى عهد قريب تنكر كل صفة إيجابية للإسلام، ومجرد محاولة اتباع هذا التيار الجديد في دراسة الإسلام بقدر من الموضوعية هو تطور يستحق الدراسة والتقويم؛ تمهيداً لمحاولة استثماره لصالح ديننا الحنيف الذي يتضمن صلاح الإنسانية جمعاء»[(٣)].

المحور الثالث

استمرار الاستشراق من خلال رصد نشاطاته

مهما زعم الزاعمون أن الاستشراق قد انتهى فالأمر الحقيقي أن الاهتمام الغربي بالعالم العربي الإسلامي لم يضعف ولم يتوقف وإنه ليس بسبيله إلى

---

(١) رضوان السيد. «الاستشراق: التاريخ والمنهج والصورة. في **الفكر المعاصر**. عدد ٣١ يناير فبراير ١٩٨٣. ص.

(٢) السيد محمد الشاهد. «الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين». في **الاجتهاد**، ع٢٢، سن٦، شتاء العام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ص ١٩١-٢١١.

(٣) المرجع نفسه.

الانقراض. وقد أكد هذه القضية أكثر من باحث غربي ومن هؤلاء: مكسيم رودنسون الذي كتب يقول: «إن الدراسات المتركزة على شعوب وثقافات ومجتمعات المناطق العديدة المشمولة سابقاً تحت اسم الشرق سوف تستمر، وسوف يساهم فيها منذ الآن فصاعداً اختصاصيو البلدان أو المناطق المدروسة... وسوف يتحقق التقدم يوماً ما لا محالة، حتى لو لم يكن ذلك إلا تحت تأثير تراكم المعلومات والمعطيات. ولكن لا يمكن لأي شيء أن ينجي الباحثين كلياً من العراقيل والعقبات التي تواجه جهودهم أو تعرقلها»(١).

ويرى فؤاد زكريا أن «الاستشراق نشأ عن وجود فراغ علمي لدى الشرق ذاته، فقد كان من الأفضل، بالنسبة للغرب، أن يعرف الشرق من خلال ما يكتبه عنه أهله، ولو كانت توجد كتابات كافية تتبع مناهج علمية دقيقة وتقدم معرفة متكاملة، ولكن عدم وجود هذه الكتابات، أو وجودها بصورة ناقصة هو الذي ولّد ظاهرة الاستشراق(٢)»، ويضيف زكريا أن هذه البحوث والكتابات غير متوفرة في الوقت الحاضر فلذلك فالاستشراق سوف يستمر.

ويمكن الرد على فؤاد زكريا من ناحيتين:

أولاً: أن الكتابات الإسلامية العلمية حول العقيدة والشريعة متوافرة جداً وبخاصة في القرون التي شهدت فيها الأمة الاسلامية النهضة العلمية والحضارية التي جعلت منها العالم الأول. ويشهد على ذلك عشرات الألوف من المخطوطات التي انتقلت إلى المكتبات الغربية، وما تزال في هذه المكتبات أعداد كبيرة من هذه المخطوطات التي تحتاج إلى التحقيق والدراسة، ولو اقتصر جهد المستشرقين على ترجمة أمهات الكتب الإسلامية ووفروا بعض جهودهم في التحليلات غير العلمية أو المنهجية لما ظهرت صورة الإسلام بالتشويه الذي ظهرت به في كتابات المستشرقين قديماً وحديثاً.

---

(١) مكسيم رودنسون، مرجع سابق، ص٨١.
(٢) فؤاد زكريا «نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية المعاصرة: دراسة في المنهج». في **فكر للدراسات والابحاث**. عدد ١٠، ١٩٨٦. ص ٣٣-٧٥.

أما في العصر الحاضر فإن الغربيين رغم اتصالهم بمراكز البحوث والجامعات العربية الإسلامية وتعرفهم على كل ما ينشر في العالم العربي الإسلامي لكنهم لا يقدمون هذا الإنتاج إلى طلابهم في الجامعات الغربية، بل يصرون على استمرار الاعتماد على كبار المستشرقين، من أمثال: جولدزيهر، ومارجليوث، وشاخت، ونولدكه، وبيكر، وماسنيون، وغيرهم. ومع ذلك فلا بد من الموافقة مع زكريا بأن كثيراً من الجهد مطلوب في العصر الحاضر، ليقوم المسلمون بتمثيل أنفسهم أمام أنفسهم أولاً، ثم ينتقلوا إلى تمثيل أنفسهم أمام الآخرين.

ومما يؤكد هذا الأمر أن الذي ينظر في المكتبات الغربية مثلاً يجد أن معظم الكتابات التي تتناول الإسلام والمسلمين ما تزال مكتوبة بأيدي باحثين غربيين بينما الكتابات الإسلامية التي يمكن أن تكون أقرب إلى تمثيل وجهة النظر الإسلامية فتكاد لا توجد. ولكن ينبغي أن نشير إلى أن الغربيين يقومون بترجمة بعض الكتابات العربية الإسلامية التي يزعمون أنها أقرب إلى المنهجية العلمية، ولكنها في حقيقتها إنما هي طعن في الإسلام والمسلمين. ومن هذه الكتابات: ترجمة كتابات فاطمة المرنيسي وعزيز العظمة وسلمان رشدي ونصر حامد أبو زيد وغيرهم(*).

وتصر الجامعات الغربية مثلاً على استضافة بعض الباحثين العرب والمسلمين الذين يميلون إلى المنهجية الغربية والتفكير الغربي في القضايا الإسلامية ومن آخر الكتب التي اهتمت بها دور النشر الغربية والدوائر الاستشراقية: ما كتبه سعدالدين إبراهيم حول الحركات الإسلامية (الأصولية)، حتى إن باحثة عربية في جامعة أمريكية زعمت أن دراسة الحركات الأصولية

(*) سألت أحد أساتذة الجامعات الغربيين (أمريكياً) لماذا لا تدرّسون كتابات إسماعيل الفاروقي مع أنها تمتاز بعرض الإسلام عرضاً جيداً فاعتذر بأن كتابات الفاروقي ذات مستوى عالٍ وليس بإمكان الطلاب فهمها. أما انتقاده للكتابات الإسلامية الأخرى فيرى أنها تميل إلى الجانب الوعظي. وهي مبررات واهية في الغالب.

سوف تكون مختلفة عن الماضي بسبب ما كتبه سعد الدين إبراهيم. واستضافت جامعة برنستون مثلاً صادق جلال العظم؛ ليقوم بتدريس الفكر السياسي العربي المعاصر ثلاث سنوات، بالإضافة إلى غير ذلك من الموضوعات وهو ماركسي يعلن إلحاده صراحة. كما تستضيف جامعة جون هوبكنز فؤاد عجمي المتخرج في الكلية الأمريكية في بيروت (مدرسة ثانوية) ثم الجامعة الأمريكية ببيروت ثم الجامعات الأمريكية في الولايات المتحدة. وهو الذي يتعاطف مع اليهود والصهيونية ضد قضايا بلاده. والقائمة طويلة بأسماء الذين تستضيفهم الجامعات الأمريكية.

والحديث عن استمرار الاستشراق لن يكون أكثر صدقاً من التجربة الشخصية والاطلاع المباشر على النشاطات الاستشراقية الغربية من خلال حضور بعض المؤتمرات والندوات في الجامعات الغربية. وقد أتيح للباحث فرصة القيام بأكثر من زيارة علمية كانت أولاها عام ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) حيث زرت جامعة برنستون، وجامعة لندن، وجامعة بيرمنجهام. وقد قمت في تلك الرحلة بجمع المادة العلمية لبحثي للدكتوراه وقمت بالالتقاء بالعديد من الباحثين الأمريكيين والعرب في تلك الجامعات، كما اطلعت على مكتبات تلك الجامعات. وقد اتضح لي أن الاستشراق مستمر ومزدهر. وفيما يأتي بعض أبرز جوانب استمرار الاستشراق من خلال الرحلتين اللتين قمت بهما:

١ - جامعة برنستون:

لقد أسس برنامج دراسات الشرق الأوسط في هذه الجامعة عام ١٩٢٧ المؤرخ اللبناني فيليب حتى بدعم من الرئيس ويلسون وصديقه بايارد دوج Bayard Dodge من الجامعة الأمريكية في بيروت بالإضافة إلى النفوذ التنصيري قبل وبعد الحرب العالمية الأولى. ومن أشهر الأساتذة في هذا القسم مانفرد هالبرن Manfred Halpern ونومان اتزكووتز Norman Itzkowitz ومورو بيرجر Moroe Berger وإبراهام يودوفيتش Abraham Udovitch ومايكال كوك Michael Cook وشارل عيساوي (فلسطيني نصراني) وليون كارل باون Leon Carl Brown وبرنارد لويس Bernard Lewis المؤرخ

اليهودي المتصهين وغيرهم[1]، وتضم هذه الجامعة ثاني أكبر مجموعة للمخطوطات العربية في الغرب. ولديها فهرسان لهذه المخطوطات. وثمة مكتبة عامة للكتب، تضم قسماً كبيراً للكتب العربية والاستشراقية، بالإضافة إلى مكتبة قسم دراسات الشرق الأدنى، وهناك مكتبة خاصة بالرسائل الجامعية.

وثمة نشاط آخر مهم، وهو: الندوة الأسبوعية التي تعقد كل يوم أربعاء، ويحضرها طلاب الدراسات العليا، وأعضاء هيئة التدريس، وبعض الضيوف من المجتمع المهتمين بقضايا الشرق الأوسط. وتقدم في هذه الندوة محاضرة قصيرة يعقبها نقاش يمتد أكثر من ساعتين أحياناً. وتتناول هذه الندوة مختلف القضايا الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية، وأذكر منها الموضوعات الآتية: «الإصلاح اللغوي في تركيا: الإصلاح الكارثة» (سبتمبر ١٩٨٨)، وكانت للأستاذ الزائر جيفري لويس من جامعة أوكسفورد. و«أي ثمن للسيادة الأمريكية في العالم» (سبتمبر ١٩٨٨) وقدمها ليون كارل براون مدير برنامج دراسات الشرق الأوسط، و«تركيا والديموقراطية» (سبتمبر ١٩٩٥) قدمها أستاذ جامعي تركي زائر متخصص في العلوم السياسية.

وحضرت بعض محاضرات صادق جلال العظم حول الفكر السياسي العربي في العصر الحاضر، فكان يتحدث عن ياسين الحافظ ومذكراته السياسية. كما لقيت مايكال كوك وهو أحد تلامذة برنارد لويس، وكان مهتماً بعلماء نجد، وقد طلب مني نسخة من كتاب «علماء نجد في ستة قرون».

وتدل الرسائل الجامعية على تنوع الموضوعات التي تطرقها من عقدية وسياسية واقتصادية واجتماعية، وهناك تعاون وثيق بين هذا القسم والأقسام الأخرى في الإشراف على هذه الرسائل. وأذكر من هذه الرسائل رسالة عن

---

(١) لجنة الدراسات الشرقية المنبثقة عن ندوة الشباب الإسلامي في طرابلس عام ١٩٧٣ و١٩٧٥. **تحليل نقدي للدراسات العربية الإسلامية في جامعات أمريكا الشمالية.** ترجمة مازن مطبقاني ومراجعة الدكتور علي النملة. تحت الطبع، ص٦٦.

التنصير في الخليج العربي أنجزت عام ١٩٧٧[١]، ورسالة عن جورجي زيدان ورسائل في الفكر السياسي الإسلامي وغير ذلك من الموضوعات.

٢ – معهد الشرق الأوسط

تأسس المعهد سنة ١٩٤٦ للمساعدة في ملء الفراغ في حاجة الأمريكيين لفهم مستوعب للشرق الأوسط. وتم افتتاحه بموجب مراسيم حكومية كجزء من مدرسة الدراسات المتقدمة التي تم ربطها بجامعة جونز هوبكنز فيما بعد. والمعهد مدين بعمق للراحل جورج كامب قيصر الذي كان القوة الدافعة لتأسيسه، حيث كان أول ممول له، وتولى رئاسته في بداية تأسيسه. وأصبح المعهد هيئة منفصلة عام ١٩٤٩م تحت قوانين مقاطعة كولومبيا، وبدأ في عام ١٩٥٥م مشروعه لنشر الكتب.

وكان الهدف الأساسي – على مر السنين – للمعهد هو إصدار مجلة الشرق الأوسط، وعقد مؤتمر سنوي في واشنطن، وكذلك مؤتمرات وحلقات دراسية أخرى، ودورات ابتدائية في لغات المنطقة، وتوفير مكتبة مفتوحة للعامة حول المنطقة، وترتيب المحاضرات في واشنطن ومدن أخرى في الولايات المتحدة.

عمل المعهد بالتعاون مع الجامعات ومجموعات سياسات الشرق الأوسط في تثقيف نطاق واسع من مواطني أمريكا حول الشرق الأوسط. وقد عمل موظفو المعهد في نشر الثقافة حول الشرق الأوسط بالتحدث في محاضرات أو الكتابة الصحافية في المجلات والصحف وتقديم آراء تعتمد على المعرفة والخبرة للراديو والتلفزيون عندما تكون أخبار الشرق الأوسط تهم وسائل الإعلام.

ويمتنع المعهد – حسب نشرته – عن اتخاذ مواقف سابقة في القضايا

---

(١) ترجمت هذه الرسالة بعنوان **أصول التنصير في الخليج العربي** عام ١٤١٠ وأعيد طبعها عام ١٤١٨ عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي. وهي لضابط بحري أمريكي كان مرابطاً في البحرين في الفترة من ١٩٧٢-١٩٧٤.

الجدلية في الشرق الأوسط، ولا يمكن بموجب مرسوم تأسيسه أن يكون أداة في يد أي أحد لفرض سياساته أو يحاول التأثير في التشريع[١].

ويهمني أن أستعرض هنا لمحات من التقرير السنوي لعام ١٩٩٧ الذي صدر عن المعهد.

أ – مجلة المعهد: خُصص العدد الأول من هذا العام للحديث عن تركيا وقضاياها السياسية والاجتماعية والثقافية. وكان البحث الرئيس عن تطور الدراسات التركية في أمريكيا الشمالية منذ عام ١٩٤٦، وكتب الرئيس التركي مقالة عن السياسية الخارجية التركية. وتناول العدد المسألة الكردية. وتناول العدد أيضاً مسألة الديموقراطية في تركيا والحركات الإسلامية ووصولها إلى الحكم. بينما تركزت بحوث العدد الثاني (ربيع ١٩٩٧) حول قضايا التجارة والتبادل التجاري بين دول المنطقة، وكذلك الحديث عن المساعدات الأمريكية لدول المنطقة. بالإضافة إلى قضايا المنطقة الاقتصادية الأخرى. بينما تناول العدد الثالث (صيف ١٩٩٧) التحدث في الملكيات المحافظة في المنطقة ومنها السعودية والكويت. وتناول العدد أثر الاخوان المسلمون في الأردن والتوجه الديموقراطي فيه. وتضمن العدد الرابع (خريف ١٩٩٧) ثلاث مقالات عن إسرائيل وأثر عملية السلام على الجماعات اليهودية المتطرفة. وتضمنت الأعداد مراجعة أكثر من تسعين كتاباً تناولت المنطقة، بالإضافة إلى العروض الموجزة للكتب والتعريف بالنشاطات العلمية حول المنطقة.

ب – المؤتمر السنوي الواحد والخمسون: الشرق الأوسط يدخل القرن الواحد والعشرين.

وقد افتتح المؤتمر الأمير هشام بن عبدالله بحديث شامل ومثير حول قضايا المنطقة الأساسية. وكان من المتحدثين شارلز وليام ماينز Charles William Maynes رئيس مؤسسة يوراسيا والمحرر السابق في مجلة السياسة

---

(١) Middle East Institute. *Annual Report 1991*.

الخارجية. وكان هناك متحدثون آخرون منهم: جمال السويدي من مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، وصديقة عربي من جامعة سان فرانسيسكو، ومصطفى برغوثي من الاتحاد الفلسطيني للجان الإغاثة الطبية، وراغدة درغام من جريدة الحياة، وروبرت بللاترو - مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط سابقاً، ووليام كوانت من جامعة فيرجينيا، ويهود يآري من التلفزيون الإسرائيلي وغيرهم.

وعقد المعهد العديد من الندوات المتخصصة، منها: مستقبل القدس (٧ فبراير ١٩٩٧) وندوة «نظرات حول تركيا» (٢٥ فبراير ١٩٩٧)، وندوة «الولايات المتحدة واليابان والشرق الأوسط (١٣ مارس ١٩٩٧)، وندوة مستقبل العراق (٢٧ مارس ١٩٩٧) تحدثت فيها وزيرة الخارجية الأمريكية وكانت بالتعاون مع جامعة جورجتاون. ثم عقدت ندوة ثانية حول الموضوع نفسه بتمويل من معهد الولايات المتحدة للسلام والغرفة التجارية العربية الأمريكية. وفي ٢٥ أبريل ١٩٩٧ عقدت ندوة بعنوان «العلاقات الأمريكية الإيرانية في الفترة الثانية من حكم الرئيس كلينتون».

وللمعهد ندوات ومحاضرات أسبوعية Brown Bag Lunch Series تناولت مختلف القضايا التي تخص العالم العربي، منها الموضوعات الآتية: الأسلحة العراقية والأمم المتحدة، والمجتمع المدني العراقي النشأة والطموحات، ومشكلة المياه في الشرق الأوسط والحل الليبي، وأسطورة الإحصاءات الإسرائيلية في مفاوضات القدس، وإيران بعد الانتخابات الرئاسية. واللاجئين الفلسطينيين في لبنان، ودبلوماسية حرب الخليج، والحياة تحت حكم طالبان: كيف يحكم الطالبان؟ والمرأة وحقوق الإنسان في العالم العربي.

٣ - معهد بروكنجز Brookings Institution وهو مؤسسة خاصة لا تهدف إلى الربح تهتم بالتعليم والبحث والنشر في مجالات الاقتصاد والسياسة الخارجية والعلوم الاجتماعية. ومن أهدافه: تحليل مشكلات السياسة العامة الحالية، وزيادة الوعي بها. ويقوم المعهد بهذه النشاطات من خلال برامج بحثية ثلاث: الدراسات الاقتصادية، والدراسات الحكومية، ودراسات السياسة الخارجية.

كما يقوم المعهد بإدارة مركز لسياسة التعليم العام، ومركز لقواعد المعلومات حول العلوم الاجتماعية. وفي المعهد قسم لدراسات الشرق الأوسط، كان يعمل فيه وليام كوانت، أما الآن فيعمل به كل من شبلي الطلحمي (فلسطيني مقيم في الولايات المتحدة) ويحيى سادووسكي.

٤ - **معهد الولايات المتحدة للسلام**: هو معهد فيدرالي يتسم بالحياد إنشئ عام ١٩٨٤ ويتم تمويله من قبل الكونجرس، يدعو إلى تقوية قدرات الأمة على الحلول السلمية للمشكلات الدولية، وتحقيق سلام عادل مبني على الحرية والكرامة الإنسانية. ويدير المعهد مجلس مكون من خمس عشرة شخصية، أربعة منهم مسؤولون سابقون من التنفيذيين في الحكومة الفيدرالية، أما الأحد عشر عضواً الباقون فيتم تعيينهم من خارج الحكومة الفيدرالية، يرشحهم الرئيس الأمريكي، ويصادق الكونجرس على ذلك.

ومن الموضوعات التي يهتم بها المعهد: الحركات الإسلامية، وقد كلّف الدكتور سعد الدين إبراهيم من قسم علم الاجتماع بالجامعة الأمريكية بالقاهرة بإعداد بحث حول الحركات (الأصولية) في العالم العربي. كما أصدر مسؤولان في المعهد كتاباً بعنوان (الحركات الإسلامية والسياسة الخارجية الأمريكية) وتضمن الكتاب الحديث عن النشطاء الإسلاميين في كل من: الأردن، وفلسطين، وفي تركيا، وفي إيران، وفي الباكستان، وجنوب شرق آسيا، وإندونيسيا.

ومن الندوات التي عقدها المعهد في إبريل عام ١٩٩٨ ندوة حول أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط وأثرها في تحقيق السلام الدائم في المنطقة. وشارك في الندوة مشاركون في وضع السياسة الأمريكية ومسؤولون حكوميون وأكاديميون[(١)].

وللمعهد اهتمام خاص بالدول الإسلامية فقد عقد ندوة في سبتمبر ١٩٩٧ بعنوان: «الدين والقومية والسلام في السودان». تناول فيها أوضاع السودان من

---

(١) Weapons of Mass Destruction in the Middle East''. In *Peace Watch*. Vol. IV, No. 4. June 1998. P4-5.

النواحي الدينية والسياسية والاقتصادية، وكان هناك تركيز على الحرب الأهلية في الجنوب وقد أكد أحد الباحثين أن الدين كان دائماً هو الأساس في الحياة السياسية في السودان فهو الأساس في هوية السودانيين ومن جهة أخرى فإن الأطراف الأخرى المتنازعة مع الحكومة تتبني هوية دينية معينة أيضاً[١].

٥ – جامعة جورجتاون: مركز الدراسات العربية المعاصرة.

تعد هذه الجامعة أقدم معهد كاثوليكي للتعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية وقد تأسست عام ١٧٩٧، ويصل عدد طلابها إلى أحد عشر ألف طالب. وتضم الجامعة مركز الدراسات العربية المعاصرة، ومكتب العلاقات الإسلامية النصرانية الذي انتقل إليها من معهد هارتفورد اللاهوتي، ويرأسه حالياً جون اسبوزيتو، بينما يرأس مركز الدراسات العربية المعاصرة باربرا ستوواسر، وقد تم انتخابها رئيسة لرابطة دراسات الشرق الأوسط في ديسمبر ١٩٩٧م.

وللمركز نشرة شهرية تتناول نشاطاته من ندوات ومحاضرات وإصدارات مختلفة. وفيما يأتي بعض هذه النشاطات والموضوعات التي اهتمت بها النشرة:

أ – السينما المصرية تواجه التحديات العالمية والإقليمية بقلم والتر أرمبيرست Walter Armburst أستاذ مساعد زائر في علم الأنثروبولجيا الثقافية.

ب – تعريب الانترنت: بدأ المركز سلسلة من الندوات حول تعريب شبكة المعلومات العالمية المعروفة بالإنترنت.

ج – الفن والثقافة الشعبية في التاريخ العثماني: يقوم الأستاذ الزائر في الأنثروبولوجيا الثقافية والتر أرمبيرست ويوفان سينج Yvonne Seng بتقديم محاضرات وندوات حول هذا الموضوع لطلاب وأساتذة المركز.

د – الحجاب: ندوة لمشاهدة فيلم ومناقشة قضية الحجاب، اشترك فيها كل من أميرة سنبل الأستاذة بالجامعة، وباربرا ستوواسر رئيسة المركز والمؤلفة جوديت سيزر.

---

(١) "Religion, Nationalism, and Peace in Sudan". in *Peace Watch*, Vol. III, No. 6, October 1997.

هـ – نشرت باربرا ستوواسر فصلاً في كتاب بعنوان: «الإسلام والجنس والتغيرات الاجتماعية» بتحرير يوفان حداد Yvonne Haddad وجون اسبوزيتو وعنوان الفصل هو: «موضوع العلاقة بين الجنسين والتفسيرات القرآنية المعاصرة».

ز – ندوة عن العنف الجزائري بعنوان «الأزمة الجزائرية: التأثيرات الدولية وردود الأفعال». شارك فيها كل: من جون رودي، وإريك جولدستاين، وجون أنتيل من جامعة فوردهام، وعزيز الدين العايشي من جامعة سينت جون، ومنى يكوبيان مستشارة مستقلة.

ح – قدمت سارا روي Sara Roy محاضرة بعنوان «الانحدار الاجتماعي في عصر ما بعد الأيديولوجية: الضفة الغربية وغزة بعد أوسلو. (٢٨ يناير ١٩٩٨).

ومن الكتب التي قام المركز بنشرها (١٩٩٥ – ١٩٩٧): «اقتصاديات الخليج: استراتيجيات للتنمية في القرن الواحد والعشرين»، إعداد جوليا ديفلن Julia Devlin، والكتاب مبني على المؤتمر السنوي الأول حول اقتصاديات الخليج في القرن الواحد والعشرين الذي عقد في سبتمبر ١٩٩٦ في جامعة جورجتاون، ويضم المجلد بحوثاً للعديد من الباحثين الأمريكيين والعرب. منهم: هنري عزام، وسليمان القدسي، ورودني ويلسون، وجوليا ديفلن نفسها.

ومن الكتب أيضاً: «الإسلام، الغرب والقدس» من تأليف وليد الخالدي. وشارك في نشره مركز التفاهم الإسلامي المسيحي. وكان الكتاب الثالث بعنوان «الإسلاميون وتحديات التعددية». تأليف يوفان يزبك حداد Yvonne Yezbech Haddad تناول بالتحليل نظرات المفكرين الإسلاميين لمفهوم التعددية الغربي، والاختلافات السياسية ومشاركة الأحزاب المتعددة. ويضم الكتاب نظرة تاريخية وكذلك نظرة للأوضاع المعاصرة.

٦ – جامعة إنديانا – بلومنجتون Indian University

تأسست جامعة إنديانا عام ١٨٢٠ ومن أبرز الأقسام فيها: أقسام اللغات الأجنبية، وقسم دراسات الشرق الأوسط، حيث إن هذا القسم هو أحد الأقسام

التي تحصل على معونة من الحكومة الفيدرالية. ومن أساتذة الجامعة كل من:

أ - سكوت ألكساندر Scott Alexander ويدرس مادة علم الديان وقد شرع في إعداد شريط فيديو عن الأديان الثلاثة، وذلك من خلال إجراء مقابلات مع أتباع الأديان الثلاثة، للحديث عن دينهم، ورؤيتهم لهذا الدين، وعلاقاتهم بالأديان الأخرى.

ب - مها نور الدين: تعمل في قسم المنح الدراسية الخارجية، ومتخصصة في مجال علم الإنسان، وقد علمت منها ومن الدكتور محمد نظيف شهراني أن رئيسة قسم دراسات الشرق الأوسط تميل إلى التوجه العلماني في العالم العربي الإسلامي، وكانت تصر على دعوة رموز هذا التيار لإلقاء محاضرات في القسم.

ج - شرمان جاكسون (عبدالحكيم) أمريكي مسلم، درس في جامعة الأزهر عدة سنوات، ومتخصص في الفقه المالكي، ويتقن اللغة العربية تماماً. وهو نشط في مجال الدعوة، ويقدم خطبة الجمعة بين الحين والآخر في مسجد الجمعية الإسلامية. وقد أفاد بعدم وجود مضايقات في الجامعة له، ولكن علمت فيما بعد بانتقاله من الجامعة.

وثمة جمعيات ومراكز بحوث اطلعت على بعض أنشطتها من خلال نشراتها أو من خلال الانتساب لعضويتها. وهي كما يأتي:

١ - جمعية دراسات الخليج

تأسست هذه الجمعية عام ١٩٩٠، في الولايات المتحدة الأمريكية، ويرأسها أميل نخله. وتعقد اجتماعها السنوي على هامش المؤتمر السنوي لرابطة دراسات الشرق الأوسط. وتشترك في نشاط الرابطة المذكورة بترؤس ندوتين أو ثلاثة وتخصصهما لقضايا الخليج. ولهذه الجمعية نشرة ربع سنوية متكونة من ثمان صفحات أو أكثر، تحمل أخبار الجمعية، ونشرة بيليوغرافية حول ما صدر عن الخليج من دراسات وكتب.

ومن آخر نشاطات الجمعية أنها تبنت تقديم جائزة لأفضل رسالة علمية

لنيل درجة الدكتوراه. ومن أهداف الجمعية تقديم منح فلبرايت لباحثين أمريكيين للدراسة في دول الخليج أو إجراء دراسات في منطقة الخليج. وتم بالفعل إعطاء هذه المنحة لعدد من الباحثين، وهم يقومون حالياً بإلقاء المحاضرات في كل من البحرين، وعمان، والسعودية، وقطر، والإمارات المتحدة، واليمن.

وتدرس الجمعية إمكانية إنشاء مركز بحوث أو معهد في الخليج. أما موضوع الحلقات الدراسية الخاصة بالخليج في المؤتمر السنوي لرابطة دراسات الشرق الأوسط فسوف تكون موضوعاتها كالآتي:

أ - الدولة والمجتمع في دول مجلس التعاون.

ب - المشاركة السياسية في دول الخليج، مطالب الشعوب واستجابات الحكومات.

ج - سياسات أمن الخليج والعلاقات مع الولايات المتحدة.

د - قوة التغيير ومستقبل دول مجلس التعاون[١].

٢ - رابطة الشرق الأوسط لدراسات المرأة AMEWS

تأسست الرابطة منذ عشر سنوات كامتداد لرابطة دراسات الشرق الأوسط، وتعقد اجتماعها السنوي في أثناء انعقاد المؤتمر السنوي لرابطة دراسات الشرق الأوسط. ولهذه الرابطة نشرة دورية تعرض فيها نشاطاتها وبيليوغرافيا لما يصدر بخصوص المرأة في الشرق الأوسط، وفي نشرتها الصادرة في مارس (آذار) ١٩٩٥ نجد الموضوعات الآتية:

أ - مقالتين عرضتا كتابين من كتب الكاتبة المغربية فاطمة المرنيسي، أحدهما عنوانه «الحجاب والنخبة الذكورية: تفسير أنثوي لحقوق النساء في الإسلام» ترجمة ماري جو لا كلاند Mary Jo Lakeland، وعنوان الكتاب الثاني: «أحلام الخطيئة: قصص الحريم، ترجم عام ١٩٩٤.

ومن نشاطات الرابطة قيام برنامج دراسات النساء بجامعة بيرزيت الذي

---

(١) SAGA Newsletter (Society for Gulf Arab Studies), Vol. IV, Number 1, March 1994.

تديره الدكتورة ليزا طراقي بعقد ندوة حول المرأة في الفترة من ٢٥ نوفمبر إلى ٣ ديسمبر ١٩٩٤.

ومن النشاطات الأخرى: قيام مندوبة الرابطة بحضور الندوة التحضيرية للمؤتمر العالمي الرابع المقرر عقده في بكين في شهر سبتمبر ١٩٩٥، وكان عنوان ندوة عمّان: «خطة عمل للعمل لتقدم المرأة في عام ٢٠٠٥».

ومن النشاطات النسائية التي أعلنت عنها النشرة: ندوة «الحوار النسائي: بناء المجتمع في وجه العنف ١٥ مارس – ٣ أبريل ١٩٩٥. ويتبنى تمويل الندوة لجنة خدمات الأصدقاء الأمريكيين، وبرنامج التعليم لسلام الشرق الأوسط.

ويتضمن برنامج المؤتمر السنوي الثاني عشر للمجلس الأمريكي لدراسة المجتمعات الإسلامية الذي من المقرر عقده في الفترة من ٢١–٢٢ إبريل ١٩٩٥ عدة موضوعات تهم المرأة منها:

أ – النساء بصفتهن أقلية مسلمة.

ب – الفقه والاجتهاد وحقوق النساء.

ج – مشاركة النساء في جبهة تحرير مورو.

د – النساء المسلمات في السجون: قضايا نظرية وتطبيقية(١).

٣ – مؤسسة راند **RAND**:

تأسست مؤسسة راند بصفة مشروع تحت مظلة شركة دوجلاس المتخصصة في صناعة الطائرات، ووضعت القواعد الأساسية لضمان استقلاليتها، وأن تكون بحوثها ذات اهتمام بالأهداف طويلة المدى، ولها أن تحصل على المعلومات الاستخباراتية، ومعلومات التخطيط من سلاح الجو الأمريكي، وبالتالي تقدم تقاريرها وتوصياتها كما يقتضي البحث.

---

(١) AMEWSNNEWSLETTER, (Association for Middle East Women Studies) Vol. x, March 1995.

وتركزت بحوثها في السنوات الأولى على الموضوعات الحربية والتكنولوجية، مثل المحركات النفاثة، ومحركات الصواريخ، والوقود ذي الطاقة العالية، والنظرية الإحصائية للرادار، والفيزياء الفضائية.

ولما كانت هذه المجالات ليست هي كل شيء بالنسبة لمشكلات الأمن القومي، ولا يمكن فصلها عن الجوانب السياسية والاقتصادية، فقد سعت راند للاستعانة بخبراء من خارجها في التخصصات المطلوبة. ولوضع الأسس للعلاقات بين خبراء المشروع مع المتخصصين من خارجه، فقد عقدت ندوة عام ١٩٤٧ استمرت ستة أيام، لدراسة هذا الأمر. وفي عام ١٩٤٨ بدأت الخطوات الفعلية لتحويل المشروع إلى مؤسسة غير ربحية، وتم اختيار مجلس أمناء لإدارتها، واختيار المسؤولين التنفيذيين فيها. وكانت الميزانية المبدئية لها لا تتجاوز ثلاثة ملايين وسبعمئة وخمسين ألف دولار. وقد بلغت ميزانيتها عام ١٩٦٣ عشرين مليوناً وستمئة ألف دولار.

ومن الأسس المهمة التي شجعت البحث العلمي أكثر من مجرد استمرار الدعم المالي: الظروف التي عمل فيها الباحثون، حيث إن الأفكار غير المألوفة والجديدة لم تحتج إلى موافقات موسعة من الهيكل الإداري والإداريين الحكوميين واللجان. ومثل هذه البيئة جذابة جداً للأشخاص المبدعين. وبالإضافة إلى الظروف فإن مما ساعد راند على التطور تعدد المستفيدين من بحوث المؤسسة.

ويتكون مجلس أمناء مؤسسة راند من شخصيات علمية وسياسية، ورجال أعمال، ورجال إعلام، وأساتذة جامعات، وأذكر منهم على سبيل المثال: مستشار مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، ورئيس مجلس شركة سيتي كورب، ورئيس جامعة ستانفورد بكاليفورنيا، ورئيس معهد الطب بالأكاديمية القومية للعلوم، وأستاذ الإدارة بجامعة كاليفورنيا – فرع لوس أنجلوس.

وفي الكتاب الصادر عن المؤسسة عام ١٩٩٣ نجد نماذج من بعض البحوث التي أجرتها راند، فنجدها شملت مختلف مجالات البحث العلمي، ومنها: صورة حياة المدينة الأمريكية، حيث تناول البحث تغير الحياة في المدينة

الأمريكية منذ عام ١٩٦٥، وما الذي تغير، وهل تساعد سياسة الحكومة على تحسين الأحوال؟ أو تؤدي إلى إفسادها؟ وما الذي يمكن تعلمه من البرامج الحكومية السابقة، وما الذي يمكن عمله مستقبلاً؟ وبحث آخر بعنوان (إعادة تخطيط إدارة الدراسات العليا)[١]. كما شملت البحوث قضايا تهم العالم الإسلامي. وتتضمن هذه البحوث زيارات ميدانية للباحثين. وقد قام الدكتور جوزيف كيششيان بزيارة للملكة، زار خلالها الرياض وجدة والظهران، كما زار عدداً من دول الخليج، للالتقاء بالمثقفين وأساتذة الجامعات، لاستطلاع آرائهم في بعض القضايا التي تهم المنطقة[٢].

ولا بد من كلمة – هنا – وهي: لماذا لا نفيد من مثل هذه التجارب في إنشاء المؤسسات العلمية والبحثية، ونسعى لدعمها من النواحي المالية والمعنوية؟ ولعل جهة ما تنتدب من يقوم بتقديم دراسة ميدانية علمية عن مثل هذه المؤسسات ودورها في صناعة القرار في المجتمعات الغربية.

٤ – معهد البحوث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي بإكس إن بروفانس Institut De Recherches Et D'Etudes Sur Le Monde Arabe Et Musulman - Aix En Provence

يعد هذا المعهد من أهم مراكز البحث العلمي حول العالم العربي والإسلامي في فرنسا. يشارك في المعهد خمسة وعشرون باحثاً من المركز القومي للبحوث العلمية، وثمانية عشر أستاذاً باحثاً، واثنان وثلاثون مهندساً تقنياً وإدارياً، وأحد عشر باحثاً مساعداً، وخمس عشرة أستاذاً.

وتعتمد ميزانية المعهد من قبل المركز القومي للبحوث، بالإضافة للدعم المالي من قبل وزارة البحث العلمي والتعليم العالي وبعض الوزارات المختلفة، وذلك لتشجيع برامج البحث. كما إن هناك دعم مالي من النشاطات الخاصة للمعهد، وذلك عن طريق تعاقده مع جهات أخرى.

---

(١) Ibid

(٢) Rand 1993

وقد بدأ المعهد في الاهتمام بالبحوث حول العالم العربي والإسلامي منذ نهاية الخمسينيات وبخاصة في المجالات التي تهم المنطقة العربية والإسلامية.

ويهتم المعهد بالبحث في المجالات الآتية: علم المجتمع، والسياسة، والقانون، والتاريخ، واللغات، والأدب، والجغرافية والسكان. ويهدف المعهد من هذه الدراسات إلى التعمق في المعرفة، والتعريف بالأبعاد الأساسية والتحديات والتغيرات والتطورات المتعلقة بالعالم العربي من ناحية، وبالابعاد الثقافية والتاريخية من ناحية أخرى.

ويتولى إدارة المعهد الدكتور أحمد محيو، ويساعده دانيال بانزاك Daniel Panzac. وينقسم هيكل المعهد إلى التنظيمات الآتية:

١ - الشكل السياسي والقانوني. ٢ - الحياة المادية والمجتمع العمراني.

٣ - أنثروبولوجيا المغرب والمناطق الصحراوية. ٤ - الهجرة والمهاجر.

٥ - العلاقات الأوروبية العربية.

٦ - اللغات والتاريخ والحضارات في الشرق الأوسط.

٧ - تحليل النص في الكمبيوتر[١].

٥ - مركز دراسات الشرق الأدنى والأوسط - مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن:

أنشئ هذا المركز عام ١٩٦٦ بهدف تشجيع الدراسات والبحوث وتبادل الرأي حول الشرق الأوسط، وقد تعاقب على المركز سبعة رؤساء حققوا خلال فترات رئاستهم العديد من البرامج، وقد تأكد دور هذا المركز في التسعينيات في تشجيع البحث وفهم المنطقة.

ويهتم المركز بالشؤون الاقتصادية؛ ذلك أن المنطقة أصبحت ذات مكانة مهمة في الاقتصاد العالمي، حيث ارتفاع معدل إنتاجها للطاقة بالإضافة إلى أنها

---

(١) أعد الترجمة الأستاذ زياد بري المبتعث لدراسة الأدب العربي في جامعة ليون بفرنسا عن نشرات صادرة عن المعهد نفسه.

تعد سوقاً مهمة لمنتجات الدول الصناعية، كما وفرت ملايين الوظائف للعمال المهرة من الشرق الأوسط من دول أخرى.

ومما يدعو المركز للاهتمام بهذه المنطقة: ما شهدته من تطورات كبيرة في المشكلة العربية الإسرائيلية، والثورة في إيران، وحربي الخليج الأولى والثانية. وترى المدرسة (مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية) أن دورها هو تشجيع معرفة هذه المناطق وغيرها من الشرق الأوسط من خلال قيام العلماء والباحثين والصحافيين والكتّاب بدراسات حول المنطقة، مستخدمين المصادر التي توفرها المدرسة وكذلك دور الوثائق الحكومية، وما تقدمه الحكومة والجهات التجارية. وتأمل المدرسة، أن يتم من خلال اللقاءات رفع مستوى التفاعل بين الجهات المهتمة بهذه المنطقة، وذلك لمصلحة جميع الأطراف سواءً كانوا من الشرق الأوسط نفسه أو من مؤسسسات متعاطفة أو لها اهتمامات بثقافة المنطقة وتطورها الاجتماعي والسياسي.

وتحتوي مكتبة المركز على أكثر من سبعين ألف عنوان حول المنطقة، بالإضافة إلى مجموعات مهمة من الدوريات المعاصرة في اللغات المختلفة للمنطقة، وكذلك في اللغات الأوروبية. ومن نشاطات المركز: تنظيم الحلقات الدراسية والاجتماعات التي تعقد ليوم واحد، أو المؤتمرات والندوات الأطول. فالمركز يشجع على زيادة الوعي بالمنطقة، ويقوم بالاتصال أو بالربط بين المؤسسات المماثلة في المملكة المتحدة وغيرها، لتشجيع عقد الاجتماعات والنشر[١].

(١) نشرة تعريف بالمركز وقائمة الأعضاء لعام ١٩٩٧-١٩٩٨م. باللغة الإنجليزية.

الخاتمة:

يتعجب الإنسان لماذا يصر البعض من الباحثين العرب والمسلمين أن يعلنوا وفاة الاستشراق أو انقراض الاستشراق، مع أن الأمر يحتاج إلى دراسة وتمحيص قبل إصدار مثل هذه الأحكام، ولما أتيح للباحث فرصة الاطلاع على بعض النشاطات الاستشراقية فقد تأكد لي أن الذي انقرض هو ذلك الشخص الذي يعرف اللغة العربية، ويخوض في شتى مجالات المعرفة التي تخص العالم العربي والإسلامي، من التاريخ إلى الجغرافيا، إلى الأدب، إلى الاجتماع، إلى العقيدة. نعم مثل هذا المتخصص لم يعد له وجود كبير - رغم محافظة بعض كبار السن من المستشرقين على هذه المكانة، وربما لعشرين سنة من الآن -.

لقد تناول هذا البحث في محاوره الثلاث موقف الغربيين من قضية انتهاء الاستشراق أو انقراضه أو ضعفه، وكان من بين هؤلاء: ماكسيم رودنسون، وفرانسيسكو غابرييلي، وبرنارد لويس، وبرايان تيرنر. وأوضحت أن بعضهم ينظر إلى الاستشراق كأساس في الدراسات العربية الإسلامية، وأن المسلمين لم يكن بإمكانهم أن يدرسوا قضاياهم بعيداً عن الإنتاج الاستشراقي. وكيف أن بعض الباحثين الغربيين يحكمون على الباحثين المسلمين بالذكاء إذا ما استطاعوا أن يتقنوا منهجيات البحث العلمي الغربية.

وتناولت في المحور الثاني موقف بعض الباحثين العرب والمسلمين من هذه القضية، وبدأت بالدكتور أكرم ضياء العمري صاحب محاضرة (هل استنفد الاستشراق أغراضه؟)، وذكرت ما كتبه علي حرب في جريدة عكاظ، وذكرت بعض الباحثين الآخرين من أمثال محمد أركون وغيره.

أما المحور الثالث: فخصصته للحديث عن أن الاستشراق لم ينته وإنما الأمر تغيير الاسم، وإلّا فإن الاهتمامات ما تزال كما هي، وقد كثرت التخصصات، حتى لا يمكن لباحث واحد أو لمجموعة كبيرة من الباحثين متابعة ما يجري في الساحة الاستشراقية، أو ساحة الدراسات العربية والإسلامية في

الغرب، لكثرة هذه الأقسام وكثرة نشاطاتها، فإننا في هذه الورقة ذكرنا ما لا يزيد على عشرة مراكز أو أقسام علمية، مع أن هذه المراكز تعد بالمئات، ويمكن أن يكون الحديث عن هذه المراكز وأنواع نشاطاتها موضوعاً مستقلاً.

وأختم بالقول إن الاستشراق لم ينته، وإن تغيرت الأسماء، وإن تغيرت الأزياء أو الصور، والله الموفق.

المراجع

المراجع العربية:

- أركون، محمد. **الإسلام، أوروبا والغرب**. (لندن: دار الساقي) ١٩٩٥م.
- الأعسم، عبدالأمير. «الاستشراق من منظور فلسفي عربي». في **الاستشراق: سلسلة كتب الثقافة المقارنة**. (بغداد: وزارة الثقافة) العدد الأول، كانون الثاني ١٩٨٧، ص ٢٩-٣٣.
- حرب، علي. «الأنا والآخر بين الاستشراق والاستغراب». في **عكاظ** (جدة) ع (١١٦٠٣) ٤ صفر ١٤١٩ الموافق ٢٩ مايو ١٩٩٨.
- حميش، سالم. **الاستشراق في أفق انسداده**. (الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية) ١٩٩١.
- رودنسون، مكسيم. «الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا» في **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، مرجع سابق**.
- زكريا، فؤاد. «نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية المعاصرة: دراسة في المنهج». في **فكر للدراسات والأبحاث**. ع(١٠) ١٩٨٦، ص ٣٣-٧٥.
- السيد، رضوان. «الاستشراق: التاريخ والمنهج والصورة» في **الفكر المعاصر**، عدد (٣١)، يناير/فبراير ١٩٨٣.
- الشاهد، السيد محمد. «الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين» في **الاجتهاد**، عدد (٢٢) س٦، شتاء العام ١٤١٤/١٩٩٤. ص ١٩١-٢١١.
- العمري، أكرم ضياء. **مواقف الاستشراق من السيرة والسنّة النبوية**. (الرياض: مركز الدراسات والإعلام: دار إشبيلي) ١٤١٧/١٩٩٨.
- غابرييلي، فرانسسكو. «ثناء على الاستشراق» في **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه**.
- غراب، أحمد عبدالحميد. **رؤية إسلامية للاستشراق**. ط٢ (بيرمنجهام: المنتدى الإسلامي) ١٤١١.

- لجنة الدراسات الشرقية المنبثقة عن ندوة الشباب الإسلامي في طرابلس عام ١٩٧٣ و١٩٧٥. **تحليل نقدي للدراسات العربية الإسلامية في جامعات امريكا الشمالية**. ترجمة مازن مطبقاني ومراجعة الدكتور علي النملة (تحت الطبع) ص٦٦.
- لويس، برنارد. «مسألة الاستشراق» في **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه**. إعداد هاشم صالح (لندن: دار الساقي) ١٩٩٤ ص ١٥٩ - ١٨٢.
- كاهن، كلود. «كلود كاهن يرد على أنور عبدالملك: رسالة إلى رئيس تحرير مجلة ديوجين». في **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه**.

المراجع الأجنبية:

- AMEWS. (Association For Middle East Women Studies) Vol. X, March 1994.
- Hayter, Sir William. *Report of the Sub-Committee on Oriental, Slavonic, East European and African Studies. (London: British Government, 1961).*
- Hussain, Asaf. "The Ideology of Orientalism". In Orientalism, Islam and Islamists. Ed. Asaf Hsussain et al. (Brattleboro: Vermont (USA) 1984. Pp. 5-23.
- Middle East Institute. *Annual Report, 1991.*
- "Religion, Nationalism and Peace in Sudan". In *Peace Watch*. Vol. III, No.6. October 1997.
- "*Rand Annual Report 1993*. Santa Monica (CA.): Rand Institution, 1993).
- Saga Newsletter. (Society for Arab Gulf Studies) Vol. IV, No. 1, March 1994.
- Turner, Bryan S. "Islam" and Orientalism. In *Orientalism, Islam and Islamists. Op. cpt. Pp. 23-43.*
- "Weapons of Mass Destruction in the Middle East". In *Peace Watch*. Vol. IV, No. 4, June 1998. P 4-5.